

ما قبل القراءة:

- ١- من قراءتك للعنوان، هل هذا النص واقعي أو خيالي؟ كيف توصلت إلى ذلك؟
- ٢- كل الكلام الذي قاله «أنس» كان في مكان واحد - أقرأ بداية كل فقرة ونهايتها، وقل أين كان أنس كل هذه المدة؟
- ٣- أين كانت أم أنس؟
- ٤- انتقد أنس أشياء كثيرة،منذ أن خرج من بطن أمه، اذكر بعضًا منها.

من يوميات وليد

(١) أنا ضيف جديد في هذه الدنيا؛ عمري أيام قليلة. ولدت في أسرة مسلمة، سمعاني أبي «أنسا» وهذا اسم خادم رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ الصّحابي: أنس بن مالك «رضي الله عنه». وكثيراً ما أسمع أبي يقول: «أسأُ الله أن يجعلك مثل أنس بن مالك».

(٢) وفي الحقيقة تتباين مشاعر شئ، منذ اللحظة التي شاء الله تعالى أن أخرج فيها إلى الدنيا؛ فأمي أقرب الناس إلى لما نزلت إلى هذه الدنيا، وتعالى بكائي، كنت أنتظر أن تضمنني إلى صدرها، وتقبليني، ولكن لم أجدها، وعلمت أنها نائمة في غرفة مجاورة لي، تسمى «غرفة العمليات»! وجاءت امرأة تلبس ملابس بيضاء تحملني عارياً، وتغسل جسدي، ثم تلفني في قميص أحضر! ثم حملتني هذه المرأة، وأنا أبكي بقاءً ممراً إلى أبي الذي كان سعيداً، فضمنني إليه وقبلي، وأحضر تمرة، فلماها بأمساني حتى لانت، فأخذ قطعة صغيرة باصبعه، ووضعها في فمي، حتى امتنجت بريقي. ثم حملتني المرأة سرعة، ودخلت بي إلى غرفة مكتوب عليها «الحاضنة». وأردت أن أقول لا، أو أنا ذي أبي: لماذا تتركني يا أبي؟ ولكن لم أستطع. وضعتني «الحاضنة» في صندوق زجاجي صغير، ثم تركتني وغادرت الغرفة، وهي تتطفق بكلمات لا أفهمها.

(٣) أهكذا يا أمي؟! أهكذا يا أبي؟! ترکاني وحيداً في أول ليلة في الدنيا! وبعثما أنا كذلك، إذ بي أسمع صوت بكاء قريب مبني، فنظرت، فإذا برضيع صغير ينام في صندوق مثل صندوقي. وفجأة ارتفع صوت البكاء عالياً، وإذا بعشرة أطفال في الغرفة ينون ببكاء هذا الرضيع، وقد استيقظوا جميعاً من النوم، فما كان مني إلا أن بكيت! ما هذه الليلة العجيبة! أما يستطيع الشخص أن ينام في هذا المكان؟!

(٤) دخلت «الحاضنة» الغرفة وهي تصيح، بعد أن سمعت أصوات البكاء، وقالت ما لكم تكون هكذا؟! هيا ناموا جميعاً. سكت الجميع - فجأة - عن البكاء وكأنهم يفهمون كلامها، أو خافوا من صياغها.

خرجت «الحاضنة» من غرفتنا، فصرخ أحد الأطفال وهو يمُضِّ إصبعه!: لماذا تعاملنا هذه الممرضة هكذا؟ أما تعرف ابن مَن أنا؟! نظرت إلى الطفل الذي بجواري - وقد كف عن البكاء - قُلْت له: أنت عريي أمْ أعمجي؟ أجاب الطفل: بل عريي، ثم سأله: ما اسمك؟ قال: همام، قُلْت له: اسم حسن، ونبيها عليه السلام أمر الآباء بحسن اختيار أسماء أولادهم، وكان يُغيّر الأسماء القبيحة، ولذا سماني أبي «أساً».

(٥) قطع كلامنا دخول امرأة أخرى على وجهها ابتسامة إلى غرفتنا، والعجيب، أن اسمها أيضاً «حاضنة». حملتني الحاضنة الجديدة أيضاً وهي تتسلّم، وذهبت بي إلى غرفة أمي، وما أن رأتهي أمي حتى اتسعت ابتسامتها ومدّت يدها لتحملني، ووضعتني على صدرها، وبذلت أرضع لبنتها وحنانها. يا الله ما أروع الدفء والحب، والحنان! ما أحمل اللَّبن الذي من صدر أمي! ما أرحمك وما أحلمك يا رب. فانت أرحم بنا من أمهاتنا وأبائنا! لك الحمد أن جعلت رحمة وحباً وحناناً في قلوب والدينا.

(٦) بينما أنا في هذه السعادة، وأمي تقبل رأسي، إذ دخلت علينا امرأة تحمل شيئاً في يدها، علمت فيما بعد أنها «طبيبة» فحصّشت سريعاً، ثم أخذت تكتب أشياء في ورقة لديها، ثم أخذت تكلم أمي عن كيفية الرضاعة الطبيعية الصحيحة، وعن أهمية لبن الأم، وأنه لا يوجد على وجه الأرض لبن مثله. قالت أمي - وهي تضع يدها على رأسي -: إن شاء الله لن أرضعه إلا من صدري، وجرايك الله حيّر الجراء على هذه المعلومات المفيدة.

(٧) في الصّباح في موعد الزيارة أقبل أبي، ودخل علينا مسروراً، وألقى السلام على أمي، وسألها كيف حالك يا أمّي؟ وكيف حال «الأستاذ أنس»؟ أجبت أمي، والدموع في عينيها: أنس مريض يا أبي أنس! انزعج أبي واقترب مني وقال: ما به يا أمّي؟! قالت أمي: لم ينتم طوال الليل، ولم يكُف عن البكاء، ولم يرضع بالقدر الكافي حتى الآن، وأجروا تحليلًا. قالت أمي وهي تبكي: يا ليتني أصاف بأمراض الدنيا، ولا يشاك ابني بشوكة واحدة! ضحك أبي، ووضع يده على كتف أمي وقال: أنا أقدر فيك مشاعر الأمومة الكبيرة - يا أمّي! - خصوصاً أن «أساً» هو طفلنا الأول بعد طول انتظار، ولكن أنت أرحم به من خاليه ورازقه؟ أجبت أمي سريعاً: بالطبع لا، فقال أبي: إذا عليك بالدعاء، وأذكرى بنعم الله علينا؛ فكم من أزواج يتمنون لو تؤخذ منهم عيوبهم، مقابل أن يرزقونا طفلاً واحداً. قالت أمي - وقد تأثرت بحديث أبي: حديثك يا أبي أنس حفف يعني من جانب، وزاد هومي من عدّة جوانب. أسأل الله تعالى - أن يحفظ نساء المسلمين في كل مكان.

(شادي السيد أحمد عبد الله - مجلة الأسرة: بتصرُّف)